SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 1 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I1.1528

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

الفكر القومي العربي لدى ساطع الحصري

عواطف سعيد امحمد علي

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

إن هذا البحث المعنون بـ" الفكر القومي العربي لدى ساطع الحصري" هو محاولة لشرح وتحليل أحد مؤلفاته؛ فليس باستطاعتنا أن ندرس الفكر القومي لدى ساطع الحصري في مؤلفاته المتعددة، بل سنشير إلى إحداها الصادر في فترة ما بين الحربين، وهو أهمهما على الإطلاق: "آراء وأحاديث في الوطنية والقومية" والذي يعد المرتكز الأساسي لفكره القومي، وهو عبارة عن مجموعة محاضرات ومقالات تحوم حول الوطنية، والقومية بوجه عام، وحول الوطنية العربية، والقومية بوجه خاص وكان الحصري حريصًا على تحديد مفرداته، وأهمها الوطنية والقومية، وتعني الوطنية حب الوطن، والقومية هي حب الأمة، وحدد عوامل القومية، ويرى أنها تتركز في عاملين أساسيين هما: اللغة والتاريخ. ويحاول أن يشير إلى أهمية تقوية الإيمان القومي، وأن يبعد عن الشباب روح القنوط بسبب ما تواجهه الأمة من عقبات، ويرى أن الأمة العربية التي نهضت في الماضي لابد أن تستعيد المكانة اللائقة بها. ويوجه الحصري النظر إلى خطر انتشار النزعة الأممية على أبناء الضاد، ويدعو لمنع تسرب هذه النزعة إلى النفوس.

وعن الوحدة الإسلامية والوحدة العربية يرى أن الوحدة الإسلامية فكرة طوبائية، لا يمكن أن تتحقق في هذا العصر، وأن ما يمكن تحقيقه هو الأخوة الإسلامية، أما الوحدة العربية، فهي طبيعية تستمد وجودها من وجود الأمة العربية.

الكلمات المفتاحية:

ساطع الحصري
الامة
العروبة
القومية

The Arab Nationalist Thought of Sate' Al-Husari

Awatif Saeed Emhemmed

Department of History, Faculty of Arts, Sebha University, Libya

A B S T R A C T

This research, entitled "Arab National Thought by Sate' Al-Hosari", is an attempt to explain and analyze one of his works. We cannot study the nationalist thought of Sate' Al-Husari in his numerous books, but we will refer to one of them, issued in the period between the two wars. It is the most important of them ever: "Opinions and Conversations on Patriotism and Nationalism,". It is the main basis of his national thought, and it is a collection of lectures and articles hovering around about patriotism, and nationalism in general, and about Arab patriotism, and nationalism in particular. Al-Hussary was keen to define its vocabulary, the most important of which are patriotism and patriotism. This means patriotism and patriotism are the love of the nation. He tries to point out the importance of strengthening the national faith and distancing the youth from the spirit of hopelessness, because of the obstacles that the nation faces. He believes that the Arab nation, which rose in the past, must regain its proper position. Al-Hussary draws attention to the danger of the spread of internationalism to the sons of the Arabs. He calls to prevent this tendency from insightful the souls. Regarding Islamic unity and Arab unity, he stresses that Islamic unity is a utopian idea that cannot be achieved in this era, and that what can be achieved is Islamic brotherhood. As for Arab unity, it is natural and derives its existence from the existence of the Arab nation.

Keywords:

Sate' Al-Husary
the nation
Arabism
nationalism

المقدمة

*Corresponding author:
E-mail addresses: Awa.amhimmid@sebhau.edu.ly

Article History : Received 13 March 2021 - Received in revised form 20 April 2021 - Accepted 30 June 2021

يبدو أن القرن التاسع عشر كان نقطة تحول كبيرة في تاريخ الفكر القومي، وفي نشؤ فكرة القومية العربية؛ فالتحولات السياسية التي حدثت في نهاية القرن وبداية القرن العشرين – معاهدة سايكس بيكو، وما نتج عنها من إقامة كيانات إقليمية وسياسية – وظهور بوادر تقسيم العالم العربي إلى مناطق نفوذ، هي التي أظهرت العروبة والقومية العربية؛ فبدأ الكتاب، والمفكرون القوميون العرب من هذا القرن يركزون كتاباتهم، ويكرسون أقلامهم لشرح وبيان العناصر التي تتكون منها القومية العربية، وذلك لبث الروح القومية في صدور الناس حتى يتحركوا، ويثوروا، ويتحرروا من الاستعمار الجديد.

ويعد الحصري داعية القومية العربية، وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ومن بينها كتابه **"آراء وأحاديث في الوطنية والقومية"** فالكتاب بجميع مقالاته هو دفاع حار عن العروبة، ودعوة جادة إلى إقامة دولتها الواحدة، ومناهضة قوية لجميع معارضيها، وقد رأى المؤلف أن يجمعها في هذا الكتاب لنشرها بين الناس بعد أن ازداد اهتمام الناس بالمسائل القومية.

1- مشكلة البحث وأهميتها.

إن محور إشكالية البحث يدور حول سؤال رئيس وهو: كيف صاغ الحصري نظريته القومية؟ ومن أين استقى مصادره للتدليل على نظريته؟

وتكمن أهمية دراستنا للفكر القومي العربي لدى ساطع الحصري نظرا لأهمية هذا المفكر الذي كرس جزءاً كبيراً من حياته في سبيل قضية واحدة هي الدفاع عن الفكرة القومية العربية، ودراسة قضاياها، وقد وضع نظرية منهجية ومنسجمة في القومية العربية بأسلوب أكثر وضوحا واتساقا من أسلوب أي كاتب آخر، وهو يعد بذلك من أبرز رواد الفكر القومي العربي، وتعد كتاباته المصدر الأول لتحليله .

2- أسئلة البحث :

وإن كان الموضوع يتضمن كثيراً من الإشكاليات، ويتطلب جملة أسئلة مازالت عالقة في ذهن الباحثين، فإننا سنحاول التركيز على طرح الأسئلة الجزئية الآتية:

ماهي الخطوط العامة لمفهوم الفكر القومي لنظرية الحصري وأهم مرتكزاتها؟ وكيف كان إسهامه في إيقاظ الوعي القومي؟ وما هي العوامل التي تجعل بعض الناس يشعرون أنهم أبناء أمة واحدة متميزون من أبناء الأمم الأخرى؟ وبتعبير أقصر: ما هي العناصر التي تكون الأمم، والعوامل التي تميز بعضها من بعض؟ وما هي الطريق لبناء الوحدة العربية، ومن ثمّ تأسيس دولة عربية واحدة؟ وماذا يجب أن نفهم من تعبير وحدة اللغة والتاريخ؟ وكيف تجلى المفهوم القومي في فكر معاصري الحصري، وتوجهاتهم من زعماء الفكر القومي؟

3- أهداف البحث

يسعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية :

تقديم صورة شاملة قدر المستطاع لأفكار المفكر العربي القومي ذي الدور الريادي في الفكر القومي العربي ساطع الحصري.

ويوضح مدى أهمية التمسك بفكرة العروبة، وأهمية تعزيز الوعي العروبي والدعوة القومية، وأهمية أن يظل العمل الوحدوي هو المنارة التي تهتدي بها المسيرة العربية المعاصرة، مهما تنوعت الأساليب وتعددت الاجتهادات، وهي لا بد من أن تتنوع، وتتعدد بحسب مقتضيات الحال وفي ضوء متغيرات القرن الجديد.

وبحثنا هذا يستعيد صفحات من آراء وأحاديث في تاريخ الوطنية والقومية العربية ينير بدايتها، ويحكي عن مصاعبها، ويومئ إلى آفاقها الباحثة عن التحقق.

4- المنهج والإجراءات:

اعتمدت في كتابة بحثي هذا على المنهج التاريخي السردي التحليلي الذي يعتمد على سرد الأحداث التاريخية، وتحليلها من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة.

وقد توخيت على يكون لهذه الدراسة بعد مقارن، في محاولة لتحقيق قدر أكبر من التعمق في تحليل الموضوع إلى النظر في فكر الحصري، ومواقفه القومية مقارنة بغيره من المفكرين القوميين البارزين .

وقد بدأت الدراسة باستعراض بعض مقالات الكتاب، وأهمها وهي: **الوطنية والقومية – عوامل تكوين الأمة والقومية – الإيمان القومي–بين الوطنية والأممية – بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية – بين مصر والعروبة**. وقد تم بعد ذلك تخصيص جزءٍ من هذه الدراسة لتحليل **آراء معاصري ساطع الحصري وتوجهاتهم من زعماء الفكر القومي**، وتمّ أيضاً في هذه الدراسة، ومن خلال الهوامش إيراد عدد من التعليقات، وبعض مواقف الشخصيات التي ذكرت، وسير حياتهم بما يؤيد الاتجاه العام الذي توخيناه لها ويدلل عليه.

ثانيا: النظرية الحصرية في القومية:

بدأ بزوغ الفكر القومي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عصر القوميات كما يسميه بعضهم [1] فبرزت كردة فعل على الهيمنة الأجنبية عثمانية كانت أم أوروبية؛ فقد عرف الوطن العربي حركة قومية عربية، كان الهدف الرئيس منها إثبات وجود أمة عربية، ووجوب أن تتحد هذه الأمة سياسياً في دولة واحدة، وهذا هو هدف معظم القوميين العرب الذين يؤمنون بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك من اللغة، والثقافة، والتاريخ، باعتبار أن هذه العوامل تقوم عليها وحدة الأمة، وأن رابطة اللغة والتاريخ أقدر على جمع كلمة العرب من أية روابط أخرى، وقد جسدها ما يمكن أن نسميه التيار القومي العربي الذي شكلت قوامه وهياكله وأفكاره الجمعيات الثقافية، والأهلية والعلمية، والمنظمات السياسية الحزبية التي حملت الفكرة القومية العربية، بما في ذلك الجمعيات الأدبية التي اتخذت من دمشق وبيروت مقرا لها،[2] ،ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام 1913م[3].

فقد نجح معظم المفكرين الذين عنوا بالفكر القومي في أن يقدموا لنا قوائم، وحقائق بنيت عليها فكرة القومية العربية التي أسهمت في جدولة، وتصوير، ووصف أسس القومية العربية ومرتكزاتها،[4]، ولعل أهم هؤلاء المفكرين العرب الذين تناولوا هذه المسألة، وأكثرهم اهتماما بها ودعوة إليها، كان **"أبو خلدون ساطع الحصري"**[5] المفكر القومي النموذجي، والداعية الأول بلا منازع للفكرة القومية العربية والوحدة العربية في فترة ما بين الحربين العالميتين؛ حيث إنه يمكننا القول أن فكره مازال يهيمن على الأجيال الحالية

في الحقل القومي [6] .

درس الحصري الحركات القومية في أوروبا، ودرس الفكر القومي الأوروبي في القرن التاسع عشر، وبخاصة لدى الفرنسيين والألمان، والإيطاليين ، وكان يستشهد في غالب الأحيان بأمثلة من التاريخ الأوروبي، كما أخذ الأوضاع العربية في الاعتبار- ولعله وجد في فكر الألمان وظروفهم ما هو أكثر إفادة لحاجات العرب. فالأمم حسب الحصري تتميز عن بعضها باللغة، وأول من نبه إلى ذلك هم الألمان، وهكذا فقد عرف الحصري " الأمة " بأنها وحدة ثقافية أولا وليس وحدة سياسية. كما يرى أن الوحدة القومية شيء طبيعي [7]

لقد برز مفهوم الأمة في أوروبا عن طريق النظريتين الفرنسية والألمانية، وإن كانا في الواقع متضادتين؛ فالفرنسي "ارنست رينان" أفصح عن مفهوم الأمة في محاضرته الشهيرة "ما هي الأمة؟" التي ألقاها سنة 1882م، وكان يعتمد "نظرية المشيئة " أو "إرادة العيش المشترك " لتبيان مفهوم الأمة. و يقول رينان: **" الأمة هي روح**

ومبدأ روحاني وتفترض وجود ماض غير أنها تختصر في الحاضر بو اقع ملموس الإقرار والرغبة الصريحة في العيش المشترك، وجود الأمة هو استفتاء شعبي يجري كل يوم ... والإنسان ليس عبداً للغته أو لعرقه أو لدينه بل الرغبة في العيش المشترك هي التي تكون الأمة "[8] .

أما المفهوم الألماني للأمة فقد ظهر مع التيار الرومانسي الألماني، ومن رواده "هيردر و فيخته"؛ حيث يرى هيردر أن أساس الأمة **" ليست الرغبة في العيش المشترك، ولكنها نتاج ثقافة**

وتقاسم لغة مشتركة"، ويؤكد فيخته كذلك على اللغة، ووحدة الأصل قائلاً: " إن الألمان يتكلمون لغة حية، و يتميزون بنقاء الأصل" [9] .

لقد عاد الحصري في تركيزه على المفهوم الألماني يستعيد الكثير من أفكار وحجج خصمه "ضياء غوكالب"، وكان هذا الأخير يعتمد النظرية الألمانية التي صاغها المفكر الألماني فيخته على أساس اللغة والعنصر، أما الحصري في سجالاته مع غوكالب؛ فكان يعتمد النظرية الفرنسية، أو إرادة العيش المشترك؛ فقد أصبح الحصري الأب المؤسس للقومية العربية التي استقى مصدرها من الفكر الفرنسي والفكر الألماني[10].

وقد استفاد الحصري كثيرا من سجالاته مع خصمه غوكالب أثناء الفترة العثمانية؛ فما كان لا يتماشى مع القومية التركية في نظره، اعتمده في نظريته القومية، وهو ما حاول تطبيقه على القومية العربية؛ فالنظرية عادة ما تكون صالحة لكل مكان وزمان إذا ما تأسست على أسس علمية صحيحة، فكيف صاغ الحصري نظريته العامة على القومية العربية ؟

لعل الحصري كان أول من حاول وضع نظرية للقومية العربية، وأول من دعا إلى وحدة عربية شاملة، وأنه جعل اللغة العربية أولاً، والتاريخ ثانياً، وهما عنصرا القومية الرئيسيان، ومع إشارته إلى مؤثرات أخرى، إلا أنه عدها جانبية أو محدودة الأثر[11]"؛ **فاللغة هي روح الأمة وحياتها، والتاريخ ذاكرة الأمة وشعورها، ووعيها"**[12].

هذه هي الخطوط العامة للنظرية، أما مرتكزاتها فهي تستند على المحاور الآتية من هذا البحث.

ثالثا: الوطنية والقومية:

الحصري حريص على تحديد مفرداته، وأهمها الوطنية والقومية، وتعني **" الوطنية هي حب الوطن ...، والقومية هي حب الأمة...، الوطن قطعة من الأرض، والأمة جماعة من البشر..." هناك وطن عام ووطن خاص، وبذلك لا يختلف مفهوم الوطنية عن مفهوم القومية كثيرا، أما مفهوم الدولة فهو يرتبط بمفهوم الوطن من جهة وبمفهوم الأمة من جهة أخرى... ولكن هذا الارتباط على نمط واحد في كل الدول والأمم، وفي جميع أدوار التاريخ..."** [13]

من خلال هذا المفهوم يبرز دور العامل السياسي في تكوين الدول؛ لأن الارتباط يتخذ أشكالاً عدة منها:

1. أمة تؤلف دولة واحدة مستقلة، وفي هذه الحالة، تنطبق الوطنية على القومية تمام الانطباق والأمة السويدية تعد أنموذجاً لهذا الشكل.
2. أمة تؤلف دولاً كثيرة مستقلة، في هذه الحالة لا ينطبق مفهوم الوطنية على مفهوم القومية، وهذا شأن المانيا قبل توحيدها عام 1870م.
3. أمة محرومة من دولة خاصة بها، وتابعة لدولة أجنبية (بلغاريا قبل انفصالها عن العثمانيين).
4. أمة محرومة من الاستقلال وفي نفس الوقت مجزأة، وموزعة بين عدة دول أجنبية(بولونيا قبل الحرب العالمية الأولى) [14].

ومن استعراض الحالات الأربع المختلفة التي أوردها الحصري يتبين أن المبدأ الحاكم في التنظيم السياسي هو القومية فالوضع الأمثل لديه لهذا التنظيم عندما يتجلى في مؤسسة الدولة أن تكون حدود هذه الدولة متطابقة مع حدود القومية، وهكذا تكون القومية قوة انفصالية إذا كانت الأمة خاضعة لغيرها، وقوة توحيد إذا كانت الأمة مجزأة، ويمكن أن تعمل كقوة فصل وتوحيد في الوقت نفسه عندما تكون الأمة مجزأة بين أكثر من دولة، وخاضعة في الوقت ذاته لحكم خارجي عنها في إطار تلك الدول[15].

ولذلك انتهى الحصري لتحقيق الحالة الأولى التي تعد الحالة المثلى للحياة القومية الصحيحة: أمة واحدة وشعب واحد في دولة واحدة .

فالقومية عند الحصري أصبحت من أهم العوامل التي تؤثر في تطور الدول، وتكون الأوطان قبل القرن التاسع عشر واستشهدا بالمثال التالي فهو يقول: **"كان الأوربيون يربطون مفهوم الوطن بمفهوم الدولة ربطا وثيقاً، ولا يفرقون بينهما أبداً... وكثيراً ما كانت البلدان تنتقل من حكم إلى حكم، ومن مملكة إلى مملكة من جراء زواج الملوك والأمراء والبيوتات الملكية... وأما السبب الأصلي لهذه الأحوال كلها، فكان الاعتقاد القائل بأن الملوك إنما يحكمون بحق موهوب من الله، ويديرون شؤون الدولة والرعية بمشيئة الله، وعندما تزعزع هذا الاعتقاد ثم زال كان من الطبيعي أن يتبدل كل شيء في هذا المضمار تبدلا كليا؛ فأخذت فكرة القومية تؤدي دوراً مهماً في تكوين الدول، وتقرير الأوطان"**[16].

والظاهرة القومية بمفهوم الحصري من أهم العوامل التي أدت إلى الانقلابات السياسية في أوائل القرن التاسع عشر، أما قبل ذلك فكانت ضئيلة الأثر؛ فظهور مبدأ القوميات من الأحداث الكبرى في التاريخ كظهور المسيحية والإسلام؛ فكما يروي المؤرخون الأحداث التاريخية بتحديد زمان وقوعها قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام او هجرة النبي محمد(ﷺ) أو بعدهما؛ فإن الحصري يرفع الظاهرة القومية إلى هذا المستوى نظراً لما أحدثته من تغيرات في التاريخ الإنساني، إلا أنه لا يحدد لنا لماذا ظهرت الفكرة القومية في القرن التاسع عشر تحديداً ولم تظهر في القرون السابقة؟ لماذا تزعزع الاعتقاد بحق الملوك الإلهي ثم زال، وهل كان ظهور القومية حدثاً منعزلاً عن تطورات

العصر؟ صحيح أن الفكرة القومية فرضت نفسها في هذا القرن، إلا أنها ترافقت مع تطورات اقتصادية، واجتماعية وفكرية كان أبرزها ظهور الطبقة البرجوازية التي رأت أن مصالحها تتناقض مع مصالح الطبقات الحاكمة في ذلك الحين.

رابعا: عوامل تكوين الأمة والقومية:

بعد التأكيد على سيادة مبدأ القوميات يتساءل الحصري: ماهي العوامل التي تجعل بعض الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، يتميزون عن أبناء الأمم الأخرى؟ وبتعبير أقصر: ماهي العناصر التي تكون الأمم والعوامل التي تميزها بعضها عن بعض؟

إن الحصري في هذا المجال صاحب نظرية يتميز عن غيره من المفكرين والباحثين؛ فهو يعد اللغة والتاريخ هما العاملان الأساسيان اللذان يميزان الأمم عن بعضها معطيا الأولوية للعامل الأول؛ فاللغة **"هي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس؛ لأنها: أولاً واسطة التفاهم بين الأفراد، ثم هي فضلا عن ذلك آلة التفكير؛ لأن التفكير حسب تعبير أحد الحكماء ما هو إلا تكلم باطني، والتكلم انما هو نوع من التفكير الجهدي. وأخيرا أن اللغة هي واسطة لنقل الأفكار والمكتسبات من الأباء إلى الأبناء، ومن الأجداد إلى الأحفاد ومن الأسلاف إلى الأخلاف... ووحدة اللغة توجد نوعاً من الوحدة في التفكير والشعور ... وإذا أضاعت أمة من الأمم لغتها، وصارت تتكلم بلغة أخرى تكون قد فقدت الحياة... إن اللغة هي روح الأمة وحياتها، إنها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري، وهي من أهم مقوماتها ومشخصاتها"**[17]

ويقول الحصري **" أما التاريخ فهو بمثابة شعور الأمة وذاكرتها... عندما أقول التاريخ، لا أقصد بذلك التاريخ المدون في الكتب – التاريخ المدفون بين صحائف المطبوعات والمخطوطات – بل أقصد بذلك التاريخ الحي في النفوس، والشائع في الاذهان، المستولي على التقاليد. إن وحدة هذا التاريخ تولد تقارباً في العواطف والنزعات، إنها تؤدي إلى تماثل في ذكريات المفاخر السالفة، وفي ذكريات المصائب الماضية وإلى تشابه في أماني النهوض وآمال المستقبل... والأمة المحكومة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها ووعيها.. ولهذا السبب نجد أن الأمم المستولية والحاكمة تعمد قبل كل شيء إلى مكافحة تاريخ الأمة المحكومة.. وأما اليقظات القومية، بعد عهود الحكم الأجنبي؛ فتبدأ عادة – بعكس ذلك – بتذكر التاريخ القومي، وبالاهتمام به اهتماماً خاصا"**[18].

وهكذا فإن اللغة والتاريخ هما العاملان الأساسيان في تكوين القوميات، وخاصة عامل اللغة الذي يفقد الأمة الحياة إذا فقدته بينما الأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها ووعيها؛ فالتاريخ واللغة هما الشعور والحياة للأمة، أما بقية العوامل فيختلف تأثيرها من عامل لآخر فتقوي تأثير العاملين الأساسيين مرة، وتضعفها طورا؛ وبذلك تكون النظرية التي اعتمدها الحصري تعتمد عامل اللغة بالدرجة الأولى، وتقلل من أهمية العوامل الأخرى في تكوين القومية إلا أن النظرية لكي تتثبت وتفرض نفسها لا بد لها من نقض العوامل الأخرى، وهذا ما سعى إليه الحصري، والعوامل التي تناولها الحصري بالنقد والتحليل ورأى أنها ثانوية هي:

1- **العامل الديني:**

إذا كان الحصري حينما بدأ صياغة أفكاره القومية – بإرثه القومي السالف الذكر، ونظراً لزوال دولة الخلافة أمام عينيه، وإخفاق محاولات إحيائها في البلاد العربية كوسيلة للنهضة القومية إثر ذلك – قد اهتز لديه – عموماً – الاهتمام والاعتماد على الإسلام (الدين) كإطار سياسي تتم داخله عملية الإعلان عن العروبة، وقد نفى أن يؤدي الدين دوراً رئيساً في قيام القومية العربية،[19]؛ إذ يرى الحصري **" أن سياسة الدول لم تقم على أساس العلائق الدينية أبداً ...والعلائق السياسية لا تتبع العلاقة الدينية... إلا أنه أقرَّ بأن الدين يمكن أن يكون عاملا مساعداً من زاوية خلق إحساس عام بالتضامن القومي الذي يعد عاملاً ضرورياً لنشر أية دعوة شاملة تعتمد على العاطفة والوجدان مثل القومية العربية... إنه يولد نوعا من الوحدة في شعور الأفراد الذين ينتمون إليه، ويثير في نفوسهم بعض العواطف، والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم تأثيراً شديداً؛ فالدين يعد في هذه الوجهة من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، وتؤثر بذلك في سير السياسة والتاريخ"**[20]

ولكن تأثير الرابطة الدينية لا يتغلب أبداً – في نظر الحصري – على تأثير اللغة والتاريخ؛ لأن **" الرابطة الدينية وحدها لا تكفي لتكوين القومية، كما أن تأثيرها في تسيير السياسة لا يبقى متغلبا على تأثير اللغة والتاريخ – إلا أنه لا ينفي تأثيرها – وهذا التأثير قد ينضم إلى تأثير اللغة، والتاريخ؛ فيقوي الروابط القومية وقد يخالف التأثير المذكور، فيضعف تلك الروابط ...ومهما كان الأمر، فإن الرابطة الدينية وحدها لا تكفي لتكوين القومية، كما أن تأثيرها في تسيير السياسة لا يبقى متغلبا على تأثير اللغة والتاريخ"** [21]

وإذا كان الحصري يعارض النشأة الدينية، ويرفض أن يكون للدين أثراً سياسياً، وأنه بذاته يشكل منطلقا لأيديولوجية سياسية؛ أي أنه يتبنى قضية العلمانية كما عرفها الفكر الليبرالي الغربي، فإنه سرعان ما يتحفظ على أن تتجه العلمانية فيما يتعلق بالتطور الاجتماعي إلى مضمون اشتراكي، أو من زاوية أخرى إلى إرساء قواعد الفكر المادي [22].

لا ينكر الحصري تأثير الدين في المشاعر الإنسانية؛ فالدين أصيل في طبيعة النفس البشرية، ويشغل الجانب الأكبر من حياة الإنسان الروحية، لكن الأديان الرئيسة (وخصوصاً منها السماوية) هي في حقيقتها أديان عالمية؛ أي أنها لا تقتصر على شعب بذاته وبذلك يرى الحصري أن الدين لا يمكن أن يشكل أساساً للقومية وهذا بدوره ينزع من المستعمرين إمكانية اللعب بسلاح الطائفية[23]

والجدير بالملاحظة هنا أن المفكرين في الخط الإسلامي الإصلاحي مثل عبدالرحمن الكواكبي[24]، وجمال الدين الأفغاني[25] لم يروا تعارضاً بين القومية والدين، بينما اتخذ الحصري وجهة علمانية.

2- **وحدة الاصل :**

سعى الحصري إلى إبعاد النزعة العنصرية وحدة الأصل والمنشأ عن القومية العربية، ورفض أن يكون الجنس أو الدم (العرق) مصدراً لقومية ما، **" لأن جميع الأبحاث العلمية عامة لا تترك مجالاً للشك في أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد... ويؤكد أن وحدة الأصل والدم في أية أمة من الأمم إنما هي وهم من الأوهام..."** [26] ، ومع ذلك يلاحظ أن الاعتقاد بوحدة الأصل يؤثر كثيراً في النفوس، وأن الشعور بالقرابة يؤثر فيها كقوله **" إن الاعتقاد بوحدة الأصل – والشعور بالقرابة - يعمل عملا مهماً في تكوين الأمم، سواء أكان ذلك موافقا للحقيقة أم مخالفا لها؛ لأن**

القرابة بين أفراد الأمم تكون قرابة نفسانية معنوية، أكثر مما تكون جسمانية ومادية"[27]

يؤكد بذلك الحصري مجدداً أن تكوين القرابة المعنوية التي يشعر بها الأفراد أو الأمم هي اللغة والتاريخ.

3- عامل الارض :

وكما دحض الحصري نظرية العرق، ونظرية الدين فإنه أيضا لا يعير أهمية لعامل الأرض، إلا من حيث كونه عامل اتصال جغرافي؛ لأن فقدان هذا الاتصال **" قد يؤدي – برأي الحصري – إلى بقاء أجزاء الأمة الواحدة منفصلاً عن بعضها بعضاً، رغم اتحاده في اللغة والتاريخ. زد على ذلك، أنه قد يؤدي – بمرور الزمن – إلى تباين وتباعد في اللغة والتاريخ أيضا"**[28] ومع ذلك فهو يرفض القول بأن الأمة يجب أن تكون لها رقعة أرضية لتسمى أمة، وذهب إلى أن الأمة لا يكون لها أرض مشتركة أو أرض معلومة الحدود، إلا إذا كونت دولة قومية. وواضح أن حالة التجزئة العربية وراء ذلك. وهذا طبيعي؛ فهو يرى أن الحدود القائمة مصطنعة؛ فهي حصيلة المساومات، والمصالح الاستعمارية**[29]**.

4- فكرة المشيئة أو الإرادة :

ويناقش الحصري في هذا الصدد نظرية المشيئة "مشيئة التعاشر، ورغبة الاتحاد" الفرنسية التي صاغها رينان، وهي نظرية حول معنى " الأمة " شاعت في كثير من المحافل العربية ولا سيما في سوريا ولبنان، بسبب شيوع الكتابات الفرنسية، والآراء الفرنسية التي تعد القومية بالإرادة والمشيئة" **قالوا إن أهم العوامل التي تلعب دوراً حاسماً في تكوين القومية، هو مشيئة الجماعات في البقاء متحدة، وفي تكوين أمة متحدة ذات شخصية واستقلال "**[30]

ولكن هذه النظرية – في نظر الحصري – التي تبدو خلابة للوهلة الأولى، وتنهار بسرعة، حينما يتعمق المرء في درس القضية بإمعان **" مشيئة الجماعة تعبير مجرد عن أمر غامض جداً... حتى ولو كانت المشيئة قد ظهرت واستمرت مدة طويلة... فأنها لا تصلح أن تكون أساساً لنظرية علمية... فهذه الإرادة تتولد من عناصر أخرى كاللغة والتاريخ؛ فهي ليست سببا بل نتيجة"**[31]

اكتفى الحصري بذلك بالاعتزاز بالحضارة العربية، وإن كانت فكرة المشيئة أو الإرادة في تكوين القومية _الأمة (كما عرضها رينان) تناسب العثمانية، فإنها مرفوضة في الأمة العربية في رأي الحصري، وهنا يخالف الحصري النظرية الفرنسية التي تقول: إن الأمة هي جماعة تريد أن تكون أمة، فالإرادة ليست سبباً، بل هي – حسب الحصري – نتيجة تنبع من القومية.

5- العامل الاقتصادي:

على الرغم من إدراك الحصري لأهمية المصالح الاقتصادية في حياة الأفراد والجماعات، وأنها تؤثر تأثيراً قوياً في أحداث التاريخ واتجاهاته، فإن ذلك لا يسوغ اعتبارها حجر الزاوية في صرح القومية، فهو يرى أنها ليست من العناصر المشكلة للقومية، بل إنها قد تسير في اتجاه معاكس للوحدة القومية؛ فالأحاسيس القومية هي نوع من العواطف تسمو فوق الحسابات النفعية، ويقول في هذا الصدد: **"فلو عمل الناس بمسائل المنفعة دون أن يلتفتوا إلى الأمور العاطفية، والمعنوية لتفككت جميع الروابط الاجتماعية من العائلية إلى القومية"[32].**

لاشك ان مفهوم الحصري المثالي للقومية قد حجب عنه رؤية الجانب المادي؛ لأنه عد العناصر التي تكّون الأمة فكرية وروحية، وبقيت آراؤه في القومية العربية متأثرة بالوضع السياسي. فحين سأله صاحب كتاب " الاتجاهات السياسية في العالم العربي " عن نظام الحكم الذي يفضله بعد تحقيق الوحدة، أجاب "بأن شكل الحكم لا يهمه كثيراً؛ إذ أنه سيكون من مسؤولية الجيل اللاحق وأضاف بأن الاهتمام يجب أن ينصبّ في الوقت الحاضر على مسألة الوحدة، وبأن الواجب القومي على كل عربي هو دعم القائد القادر على تحقيقها" فمن هذه الناحية، لم يتخط الحصري الأهداف القومية التي نادى بها أبناء جيله[33].

والخلاصة إن النظرية الحصرية ترتكز على عامل اللغة والتاريخ بالدرجة الأولى، ارتكازاً يصل إلى حد المبالغة، نافياً النظريات الأخرى التي تتبنى الدين، أو العرق، أو الأرض، أو المشيئة. مؤكدًا بذلك على **" أن أهم العوامل التي تولد في النفوس رغبة الاتحاد، فتؤدي إلى تكوين القومية، وتأليف الامة، إنما هي: وحدة اللغة والتاريخ"**[34]

وبهذا نفهم من نظرية اللغة عند الحصري التي من شأنها أن تخلق التماثل والتعاطف، ووحدة الشعور؛ لأن المرحلة التي عاشها لم تتميز بحدة الصراع الطبقي، بل اتصفت بكونها مرحلة تحرر وطني ضد الاحتلال والتجزئة؛ حيث ساد فكر البورجوازية التي تألفت مع الاستعمار الذي وجد مصلحته في تغذية الدعوات الإقليمية. إلا أنه لا نلبث أن نذهب بعيداً في تأييد النظرية **" لأن اللغة القومية المشتركة لا تستطيع، في رأينا، أن تقضي عل صراع الطبقات داخل الأمة الواحدة، وهو الصراع القائم في مجالات الفكر والشعور، فضلا عن مجالات الحياة والوجود"**[35]

ويميز الحصري بين التاريخ بوصفه وقائع وأحداثاً، وبين التاريخ الحي في النفوس والعقول، والنوع الثاني هو الذي تتذكره الأمة وهو الذي يمثل أمجاد الماضي، ويخلق الأمل للمستقبل. والتاريخ المشترك أمر مهم، ولكن ليس المقصود بالوحدة التاريخية لمجموع الأمة هو الوحدة التامة في جميع أدوار التاريخ فيقول الحصري في هذا المجال: **" و إنما الوحدة النسبية والغالبة التي تتجلى في أهم صفحات التاريخ ...التي أوجدت ثقافة الأمة الاساسية، واعطتها لغتها الحالية ،وطبعتها بطابعها الخاص...وإلا ما استطعنا أن نجد أمة واحدة ، كانت موحدة على طول تاريخها توحيدا تاماً... فنحن لسنا سجناء ماضينا، إلا إذا أردنا ذلك. وعلى كل أمة أن تنسى جزءا من تاريخها، ولا تتذكر منه إلا ما تجد فيه نفعا لها"**[36]

ومما سبق ذكره فقد حاول الحصري من خلال فكره القومي التأكيد على وجود أمة عربية واحدة؛ فبين من خلال ذلك مفهوم الأمة، ومفهوم القومية عامة، وبيان عوامل تكوين الأمة والقومية، واستنطاق التجارب العالمية، ثم قام بتحليل الوجود العربي للوصول إلى تحديد مقومات القومية العربية الأساسية وأهمها: اللغة والتاريخ وذلك لإثبات وجود أمة عربية توافرت لها مقومات الوحدة على أكمل وجه وحتمية تحقيقها، ورفض الدّين كعنصر من مكونات القومية وإن كان لا ينكر دوره في الحفاظ على دوام اللغة من التفكك والاندثار.

خامسا: الايمان القومي

إن الحصري قبل أن يكون صاحب نظرية فهو داعية قومي لذلك فهو يخصص فصلاً كاملاً للإيمان القومي[37] يقول الحصري: **" إن الايمان من أهم القوى المؤثرة في حياة الإنسان ..... لا أقصد الإيمان بمعناه الديني**

الخاص، بل أقصد الايمان بأي شيء كان... إيمان المريض بالشفاء ....إيمان الوطني بمجد الامة... إن الإيمان درجات : الإيمان القومي العميق الذي يقاوم جميع أنواع الملمات، والإيمان السطحي الضعيف الذي يتلاشى أمام الصدمات....وهناك بين هذا وذاك – درجات كثيرة من الإيمان، تتفاوت في القوة والضعف تفاوتاً كبيرا"[38]

فالحصري يستوعب الفكر الغربي (الفكرة القومية) ليعيد صياغتها بما يناسب الواقع العربي، داعياً للإيمان القومي كسبيل للقضاء على الاستعمار والتجزئة، وهذا الدافع كان الأساس في اهتمام الحصري بتعليم اللغة العربية الفصحى كأداة توحيد للقضاء على اللهجات العامية التي من شأنها تغذية النزعات الإقليمية برأي الحصري؛ لأن **"هذا الإيمان ضعيف في نفوس شبابنا... يجب أن نبذل الجهود لبث الإيمان في النفوس، وتغذيته بكل الوسائل الممكنة... بل يجب أن نكتب تاريخنا على نمط جديد بعقلية غربية ونزعة قومية"**[39].

فالنضال القومي في سبيل النهضة القومية يتطلب منا بذل المجهود لبث الإيمان القومي في النفوس، ولتقوية هذا الايمان وتغذيته بكل الوسائل الممكنة.

ويدعو الحصري الذين يستسلمون إلى القنوط والتشاؤم من كثرة المشاكل، والمساوئ التي يلحظونها إلى **" التوسع والتعمق في درس تواريخ النهضات القومية الحديثة؛ لأني أجد فيها أحسن الأدوية الشافية من داء التشاؤم ،والقنوط، و أقوى المؤثرات الموقظة للإيمان القومي... وأن هذه المشاكل والعقبات مهما كانت عويصة وعظيمة، يجب ألا تثنينا عن عزمنا، وألا تزعزع إيماننا ...بل يجب علينا أن نؤمن إيمانا راسخا بأن تلك المشاكل والعقبات ستتلاشى أمام نهضتنا القومية، وستزول أمام قوة حقنا في الوحدة والحياة... وأن الامة العربية لا بد أن تستعيد المكانة اللائقة بماضيها المجيد في تاريخ العالم الجديد..."** [40]

وأخيراً... يجب علينا أن لا ننسى أن الأمل هو أثمن عوامل العمل القومي، وأن نتمسك به... فليكن قلب كل واحد منا يحفظ الأمل، ولا يكتفي بحفظه فحسب، بل يسعى إلى تغذيته وتقويته إلى أن يتحول إلى إيمان قومي لا يتزعزع بروح التضحية والإخلاص للامة العربية الواحدة.

سادسا: بين الوطنية والأممية

تعد الوطنية من أهم وأقوى النزعات الاجتماعية المتأصلة في النفوس البشرية ، ومن أهم أعداء الوطنية وأخطر خصومها : الميول النفسية، والنزعات الفكرية؛ فالميول النفسية التي تعارض الوطنية، هي الأنانية؛ لأنها توجه النفوس نحو المصالح والملذات الذاتية على عكس الوطنية التي تدعو إلى التضحية في سبيل الوطن والقومية؛ ولذلك يقول الحصري **" إن الأنانية تعمل على الدوام عملاً معاكساً لدواعي الوطنية؛ فالوطنية لا تستطيع أن تنمو وتقوى دون أن تتغلب على الأنانية المعادية لها"**[41]

أما منشأ النزعات الفكرية المعادية للوطنية، فهي الآراء والمذاهب الفلسفية، والاجتماعية التي تدعو الناس التخلص من الوطنية ونبذها، ولعل أقدمها التي تعرف في بلاد الغرب "كوزموبوليتية Cosmopolitisme "بمعنى "العالمية". هذه الفكرة تدعو الناس إلى الترفع عن النزعات الوطنية الخاصة، وتطلب إليهم أن ينزعوا إلى حب العالم دون أن يفرقوا بين مختلف الأوطان.

إن فكرة العالمية انتشرت في القرن التاسع عشر انتشاراً كبيراً، بسبب تشوق المفكرين إلى الكمال الخيالي من جهة، وبدافع ميل الناس إلى التخلص من ثقل الواجبات الفعلية من جهة أخرى. ولكن لا بد ان تصطدم النزعة القومية بالنزعة الأممية، وهذا ما يثبته الحصري من خلال تحول المفكرين والشعراء الأوروبيين مثل(فيخته وآرنت، وفيكتور هوجو) من النزعة الأممية إلى النزعة القومية على أثر هزيمة فيينا بالنسبة للألمان، وحرب السبعين بالنسبة للفرنسيين. إن كل ما حدث، بدد أحلام العالمية، وأماني الإنسانية التي كانت مستولية على النفوس، وأظهر لكل ذي عين بصيرة الفروق الهائلة بين الوطن الذي ينتسب إليه وبين غيره من الأوطان، وبين الامة التي ينحدر منها وبين غيرها من الأمم. ويؤكد الحصري ذلك بقوله **"إن فكرة الوطنية قد انتصرت على الأممية حتى في روسيا السوفياتية نفسها؛ لأنها أخذت تتباعد عن الدعوة الأممية شيئاً فشيئاً إلى أن قررت حل والغاء الأممية الثالثة بتاتاً. زد على ذلك أنها تركت نشيدها الأممي المعروف يا عمال العالم ...اتحدوا"**[42].

وبهذه الصورة أثبت الحصري أن فكرة الاشتراكية – مهما كان نوعها – لا تعارض الفكرة الوطنية في حد ذاتها، حتى أن مبادئ الشيوعية نفسها لا ترتبط بفكرة الأممية بطبيعتها؛ وبذلك يقول **"إن فكرة الاممية فقدت أكبر و أقوى الدعائم التي كانت تستند إليها. وفقدت معها حدتها وخطورتها"**[43]، وهنا يبرز التناقض بين النزعتين ليس عدواً للاشتراكية؛ إذ أنه لم يتعرض للنظام الاقتصادي إلا أنه يرفض إحلال الرابطة الأممية محل الرابطة القومية؛ لأن الوطن قبل كل شيء وفوق كل شيء .

سابعا: بين الوحدة الاسلامية والوحدة العربية

ناقش الحصري في معرض تناوله للآراء والمناقشات الخاصة بالمفاضلة الوحدة الإسلامية بشكل مفصل؛ فقد بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية، وقد استعرض في مقالة له نشرت في مجلة الرسالة عام 1939م حجج أنصار الوحدة الإسلامية "الشعور الديني أقوى من القومي – هل اختلاف اللغات يحول دون اتحاد المسلمين – الوحدة العربية دسيسة يقصد منها الحيلولة دون تحقيق الوحدة الإسلامية – أفلا تعرف أن كل مسلم في سورية ومصر، أو العراق يعتقد بأن المسلم الهندي، أو الياباني، أو الأوروبي أخ له كأخيه المسلم"[44] . ورد عليها بالحجج التالية:

1- دعا الحصري إلى ضرورة تحديد معنى كل من الوحدة الإسلامية، والوحدة العربية، وتعيين نطاق شمول كل واحدة من هذين التعبيرين حتى تتضح الرؤية للجميع؛ فالمقصود بالوحدة في الحالتين هي الوحدة السياسية **" بين الأقطار العربية في حالة الوحدة العربية والأقطار الإسلامية في حالة الوحدة الإسلامية"**، و لما كان العالم الإسلامي يشمل الأقطار العربية، فلا شك أن تحقيق الوحدة العربية أسهل بكثير من الوحدة الإسلامية، وبأن هذه الوحدة الأخيرة لا يمكن أن تتحقق – على فرض إمكان تحققها- إلا بالوحدة العربية، وبخاصة أن كل أمة من الأمم الإسلامية تجابه مشاكل اجتماعية واقتصادية، وسياسية خاصة بها نظراً لاختلاف أوضاعها الجغرافية وخبراتها التاريخية؛ ولذلك يرى الحصري أنه ليس ممكنا القول بالوحدة الإسلامية دون القول بالوحدة العربية؛ فيقول: **" إن فكرة الوحدة الإسلامية أوسع وأشمل من مفهوم الوحدة العربية، غير أنه ليس من الممكن أن نقول بالوحدة الإسلامية دون أن نقول بالوحدة العربية؛ ولهذا السبب يحق لنا أن ندعي أن كل من يعارض الوحدة العربية، باسم الوحدة الإسلامية أو بحجة الوحدة الإسلامية، فيكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة"**[45].

2- وبعد إثبات أن الوحدة الإسلامية هي أوسع بكثير من الوحدة العربية يلفت الحصري الانتباه إلى أنه لا يجب نسيان أن المقصود من تعبير " الوحدة " في هذا المقام هو الوحدة السياسية ، كما وجبت الملاحظة أن مفهوم "الوحدة الإسلامية" يختلف عن مفهوم "الأخوة الإسلامية" اختلافاً كبيراً؛ فالاتحاد شيء، والتعاطف شيء آخر والاتحاد السياسي شيء ،والاتفاق على مبدأ من المبادئ شيء آخر باعتبار أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية تختلف عن الدعوة إلى زيادة التفاهم، والتقارب، والتضامن بين المسلمين؛ ولذلك يقول الحصري **" إن من يتكلم عن مبدأ الأخوة الإسلامية، ومن يبحث عن فوائد التفاهم بين المسلمين، لا يكون قد برهن على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية"**[46] ؛ فيجب علينا أن نميز بين مسألة الأخوة الإسلامية، ومسألة الوحدة الإسلامية تمييزاً صريحاً، وأن نفكر في إمكان أو عدم إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية بمعناها السياسي تفكيراً مباشراً.

3- إن خبرة التاريخ تثبت أن الأديان العالمية لم تتمكن من توحيد الشعوب التي تتكلم بلغات مختلفة إلا في القرون الوسطى، وفي ساحات محدودة فقط، ولمدة قصيرة من الزمن فحسب، واستشهد في هذا السياق بالخلافة العباسية التي لم يمض وقت طويل على تأسيسها إلا وقد اصبحت سلطتها على بعض الأقطار معنوية؛ فلم تقو على الحيلولة دون انفراط عقد الأقطار المذكورة، وتحولها إلى وحدات سياسية كثيرة مستقلة بعضها عن بعض بصورة فعلية.

وقد فات الحصري في هذا السياق أن عملية التفكك هذه قد طالت البلدان العربية أيضاً، ولم تكن قاصرة على تلك البلدان المسلمة التي لا تتحدث العربية، كما فاته أن أكثر القوى التي استطاعت توحيد معظم العرب بعد ذلك لقرون من الزمان لم تكن عربية، وهي الدولة العثمانية[47].

4- ويستغرب الحصري من الذين يقولون إن فكرة الوحدة العربية خلقت لمحاربة الوحدة الإسلامية[48] ، وذلك لفصل بعض الأقطار الإسلامية تسهيلاً لإدامة السيطرة عليها هو أكثر الآراء مخالفة لأحكام العقل والمنطق؛ لأنه ادعاء غريب نظراً لما سبقت الإشارة إليه من أن الوحدة الإسلامية مستحيلة دون الوحدة العربية[49]، أما الاستشهاد بأن الإنجليز قد سايروا الحركة العربية لهذا الغرض، فهو لا يدل إلا على أنهم أكثر عملية في السياسة، وأسرع فهماً لنفسيات الأمم، وحقائق الاجتماع؛ فيقول الحصري: " **إنهم عرفوا القوة الكامنة في الفكرة العربية قبل غيرهم، فرأوا أن يسايروها بعض المسايرة، ويصانعوها بعض المصانعة -بدلاً من محاربتها مباشرة- ليدفعوا ضررها عنهم، ويجعلوها أكثر ملائمة لمصالحهم**" وإذا كان تأييد الإنجليز للفكرة العربية حجة عليها، فقد ذكر الحصري بأنهم **"هم أنفسهم الذين خلصوا الدولة العثمانية من استيلاء الروس عدة مرات، وأوقفوا الجيش المصري في قلب الأناضول"** [50].

ولذلك انتهى الحصري إلى القول بصراحة لكل من يتهم فكرة الوحدة العربية بأنها دسيسة أجنبية **" يجب أن نعلم أن فكرة الوحدة العربية نتيجة طبيعية، لوجود الأمة العربية نفسها. هي قوة اجتماعية، تستمد نشاطها من حياة اللغة العربية، وتاريخ الأمة العربية، و اتصال البلاد العربية؛ فلا يدعي أحد أن الإنجليز هم الذين خلقوا فكرة الوحدة العربية، الا اذا استطاع أن يبرهن على أن الانجليز هم الذين خلقوا اللغة العربية، وأوجدوا تاريخ الأمة العربية، وكونوا جغرافية البلاد العربية. إن فكرة الوحدة العربية هي من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية التي ستزداد تدفقاً من جميع النفوس العربية بسرعة متزايدة، وسوف لا يلبث حتى يغمر جميع البلاد العربية. هذا ما يجب أن يكون إيمان كل متنور من الناطقين بالضاد"**[51].

ونفهم من أقوال الحصري أنه على الرغم من أن فكرة الوحدة الإسلامية تعد أوسع، وأشمل من مفهوم الوحدة العربية، إلا أنه ليس بالإمكان المناداة بالوحدة الإسلامية قبل المناداة بالوحدة العربية لذلك نجده يؤكد أن من يعارض الوحدة العربية هو في الحقيقة معارض للوحدة الإسلامية أيضاً.

ثامنا: بين مصر والعروبة

كان الأديب و المفكر المصري طه حسين[52] من دعاة الرابطة الفرعونية، وقد علل رأيه بقوله:**" إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين، وإنها ستبقى كذلك، بل يجب أن تبقى وتقوى..."**[53]؛ وذلك قصد تثبيت وحدة المصريين على هذا الأساس، وقد نشر الحصري مقالة في مجلة الرسالة القاهرية عام 1938م، رد فيها على رأي طه حسين، ومن ضمن ما ورد فيها **"إن المصري مصري قبل كل شيء، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف"**[54] ، ونفى الحصري دون تردد أن الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية، بل إنها تطلب إليهم **"أن يضيفوا إلى شعورهم المصري الخاص شعورا عربيا عاما"**[55] وتساءل عما إذا كان طه حسين يملك برهاناً على أن ذلك من نوع "طلب المحال" أو أن العروبة والمصرية ضدان لا يجتمعان.

وأما قول طه حسين بتأصل الفرعونية في نفوس المصريين فقد رد عليه الحصري باستيضاح المعنى المقصود، وأكد على أنه لا يمكن أن يكون المعنى المقصود منه هو الأخذ بحضارة الفراعنة بديلا من الحضارة العلمية الحالية، أو الديانة الفرعونية أو اللغة والثقافة الفرعونية أو السياسة الفرعونية. وعلق على قول طه حسين **" لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها، فإن ذلك يعني مطالبتها بهدم أبي الهول والأهرام، والتغاضي عن جميع الآثار التي تزين متاحفها، ومتاحف العالم، وأنسي نفسك و اتبعينا"**[56].

ويظهر الحصري من هذه التأويلات بأنه –أي طه حسين- يخلق للفكرة العربية خصوماً وهميين؛ فالتعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التي تسير على مستوى واحد، والفكرة العربية التي تعمل للمستقبل في القرن العشرين لا يمكن أن تتعارض مع آثار الماضي؛ فمصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة ولغتهم دون أن تخرب أثرها؛ فلماذا يستوجب تحقيق الوحدة العربية ذلك؟

ويؤكد الحصري أن دعاة الوحدة العربية **" لم يقولوا ولن يقولوا لمصر انسي نفسك... بل إنهم يقولون وسيقولون لها استزيدي من ثروة نفسك... بالعمل على توحيد أبناء لغتك...إنهم لم يقولوا، ولن يقولوا اتبعينا...بل يقولون لها سيري إلى الأمام ونحن نتبعك على الدوام..."** [57]

تريدون أن تتحقق الوحدة العربية، فعلى أي أساس علمي تنادون بها **"لقد وقفتم أمام قضية الأصل والدم، وقلتم: إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربي، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء... و أنا اقول لكم لا يوجد أمة خالصة الدم"**[58]، ويستشهد الحصري بالأمة الفرنسية التي سبقت الأمم في طريق الوحدة والاستقرار فيقول: **"إن فرنسا لا تدعي بوحدة الأصل والدم وعلماؤها يعترفون بأن الأجناس التي دخلت في تركيبها تعد بالعشرات، كما يعترفون مثلاً أن جنوب**

فرنسا يختلف عن شمالها من حيث الأصل والدم اختلافاً كبيراً... أيمكننكم أن تدّعوا بأن وحدة الأصل والدم، يجب أن تحول دون انضمام مصر إلى حركة الوحدة العربية.؟"[59] .

أما مسألة التاريخ التي ادعيتم بأن " **تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أي بلد آخر ... فاسمحوا لي أن أقول بأن: تاريخ مصر اختلط اختلاطاً عميقاً مع تاريخ سائر البلاد العربية خلال القرون الثلاثة عشرة الأخيرة على الأقل، فكيف يحق لكم أن تحذفوا هذه القرون من تاريخ مصر؟"**[60] لا ينكر الحصري أن تاريخ مصر لم يبق متصلاً بتاريخ الأقطار العربية على الدوام، شأن تواريخ الأمم الأخرى بدون استثناء، فإن تواريخ الأمم تشبه الأنهر الكبيرة التي تتكون من روافد متعددة بوجه عام. وأن العلاقات التاريخية التي تربط مصر بسائر الأقطار العربية، لهي أقوى، وأعمق، وأطول من العلاقات التاريخية التي تربط الإيالات الفرنسية بعضها ببعض.

أما رأيكم بخصوص تأثير اللغة في تكوين الوحدة العربية قلتم " **لا تنخدعوا، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم، لما كانت بلجيكا وسويسرا ولا أميركا..." ويوضح الحصري عن ذلك بقوله "هل فاتكم أن بلجيكا ليست متجانسة من حيث اللغة، بل هي من المناطق التي تتلاقى، وتتشابك فيها اللغات؟ وأن نصف سكانها يتكلمون الفرنسية، على حين النصف الآخر منها يتكلم الفلامندية الأمر الذي يجعل أمر التجزئة من المشاكل العويصة من الوجهة المادية والجغرافية... وأن حدود المناطق اللغوية في بلجيكا لا تتفق مع حدود المناطق الاقتصادية، الأمر الذي يجعل أمر التقسيم عسيراً من الناحية الاقتصادية أيضاً... كما تشغل بلجيكا موقعا مهماً بين ثلاث من أعظم الدول الأوروبية، وهي ألمانيا وفرنسا وانكلترا، وجعل أمر إبقاء المملكة البلجيكية وعلى حالتها وعل حيادها من لوازم التوازن الدولي العام، ومن مستلزمات السياسة العالمية المهمة... هل هناك من وجه لتشبيه قضية بلجيكا والأمم المجاورة لها بقضية مصر والبلاد العربية المتصلة بها... وأن سويسرا أيضاً لا تختلف كثيراً من مناطق تلاقي وتشابك اللغات؛ حيث تتلاقى فيها اللغات الفرنسية، والألمانية، والإيطالية، كما تتلاقى أهم سلاسل الجبال الأوروبية؛ فلا يجوز اتخاذها دليلاً على عدم وزن اللغة في تقرير مصير الامم..."** [61]، أما أمريكا فأكتفى الحصري بالإشارة إلى عظمة المحيط الأطلنتيكي الذي يفصلها عن القارة الأوروبية، وأعتقد أن هذه الإشارة وحدها تكفي للبرهنة على أن قضيتها لا تشبه قضية البلاد العربية بوجه من الوجوه "**إن الاقطار العربية متصل بعضها ببعض اتصالاً جغرافياً تاماً، والقطر المصري يشغل بين هذه الأقطار مركزاً مهماً، وأما الحدود التي تفصله عن سائر الأقطار العربية فتنحصر في بعض الجهات بخطوط وهمية تمتد فوق رمال الصحراء؛ فهل تعتقدون بأن هذه الخطوط الوهمية التي تفصل مصر عن سائر الأقطار العربية بصورة اعتبارية واصطناعية تستطيع أن تعمل عملاً مماثلاً لعمل البحر المحيط الذي يفصل أمريكا عن أوروبا بصورة حقيقية وطبيعية؟"**[62]، وقد رد الحصري على قول طه حسين حين قال: افهموا أن المنفعة تسير الشعوب، فإن لم تفهموا هذا اليوم، فسترغمون على فهمه غداً " **تقولون أن المنفعة تسير الشعوب،... فهل تقصدون من ذلك أن اتحاد الأقطار العربية مخالف لمنفعة الشعوب، أو خال منها؟ وهل تدعون أن منافع كل واحد من الاقطار العربية ستحول دون اتحادها؟"**[63].

ويقول الحصري: أعتقد أن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها، بل تستند إلى المنفعة أيضاً، وأعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية، وعلى كل حال أنا من الذين يؤمنون بالوحدة العربية، ويدعون اليها، ليس بتأثير العواطف فحسب، بل بملاحظة المنافع أيضاً، ولهذا السبب عندما قرأت قولكم "إن المنفعة تسير الشعوب" قلت في نفسي: أي الحصري "**وهذه المنفعة هي التي ستسير المصريين نحو الوحدة العربية عاجلاً أم آجلا"**[64].

وأخيراً ختم الحصري قوله بكلمة شكر على مناداتكم؛ أي طه حسين بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية؛ لأنه أعتقد بأن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيء سائر أنواع التوحيد.؛ فيقول الحصري بلا تردد: "**اضمنوا لي وحدة الثقافة، و أنا أضمن لكم كل ما بقى من ضروب الوحدة...." [65].**

إلا أنه مهما قيل في نظرية الحصري وآرائه، فلا يسعنا إلا الاعتراف بأنه كان أول مفكر قومي أوضح معنى القومية العربية وحدد مفهوم الأمة العربية بوضعها الراهن بعد أن كانت تقتصر على المشرق العربي (مفهوم نجيب عازوري وثورة الشريف حسين)، ولعل أهميته تكمن في رؤيته المبكرة لدور مصر القيادي في الوطن العربي – بروسيا العرب – في وقت كان فيه المفكرون المصريون بعيدين كل البعد عن مفهوم العروبة، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن ساطع الحصري كان صاحب مدرسة تخرج منها كثير من المفكرين وقادة الأحزاب والسياسيين من مختلف أقطارهم.

تاسعا: آراء وتوجهات معاصريه من زعماء الفكر القومي

لقد شهدت فترة الثلاثينيات ظهور عدد من المفكرين المعاصرين للحصري الذين نشروا كثيراً من مؤلفاتهم التي تتحدث معظمها عن عناصر القومية العربية أكثر مما توضح مفهوماً قاطعاً للقومية العربية مثل قسطنطين زريق(1909- 2000م) من خلال كتابة في "**الوعي القومي**"، وعلي ناصر الدين في كتابه "**قضية العرب**"، والشيخ عبدالله العلايلي في كتابة " **دستور العرب القومي**" ومحمد عزة دروزة (1887-1984م) عن كتابه "**الوحدة العربية**" وميشيل عفلق في كتابه " **في سبيل البعث**".

وانصرف مفهوم القومية بمعناه العام في كتابات هؤلاء عموما إلى المعاني الآتية: "**إن العرب أمة واحدة على اختلاف أقطارهم ومذاهبهم، وأن كون العرب أمة واحدة يقتضي قيام دولة عربية واحدة وموحدة، وأن عوامل التفرقة مصطنعة، والدعوات الإقليمية مشبوهة ولا تثبت للنقد العلمي**" [66].

يرى دعاة الفكر القومي على اختلاف بينهم في ترتيب مقومات هذا الفكر أن أهم المقومات التي تقوم عليها عناصر القومية العربية هي "**اللغة والتاريخ والتقاليد والمصالح والعرق والسلالة والحضارة والآلام والآمال المشتركة**"[67].

فعناصر القومية في نظر قسطنطين زريق هي شخصية مؤلفة من عناصر مختلفة أهمها "**اللغة والثقافة والعادات والتاريخ المشترك**"[68]، وهذا يذكرنا بمكونات الأمة، واللغة، والتاريخ عند الحصري، وأشار زريق إلى أصل الجنس العربي، وانتشاره، وسيادته على الأجناس الأخرى، وامتزاجه بها على هامش الدعوة الفينيقية في لبنان ودعا إلى تجاوزها فوسع الروابط القومية مؤكداً على دور" **اللغة والثقافة، والعادات، والذكريات، التاريخية، والمصلحة الحاضرة والمستقبلية**"**[69]**، أما الحصري فتجاوز موضوع الجنس العربي أصلاً باتخاذه التعريب أساسا للعروبة.

ويسهم زريق – كمفكر قومي – بإيضاح معنى الوعي القومي بقوله: **"أن الوعي القومي يقوم اولا على معرفة ماضي الأمة معرفة صحيحة، وفهم العوامل الطّبيعية والتاريخية الّتي كونتها حتى جعلتها في حالتها الحاضرة، والكشف عن مصادر قواها الروحية الخاصة الّتي تمتاز بها عن غيرها من الأمم ... فالعربي الواعي قوميا يعرف من أين أتى، وكيف تحدرت أمته، ومن أي الجذور نبتت حياته الحاضرة"[70]**. إن زريق هنا يغلب عليه الطابع الفكري على عكس الحصري الذي يتسم بطابع وجداني وأسلوب دفاعي.

بالرغم من نزعته العلمانية، يرى زريق أن بين الدين الإسلامي، والقومية العربية علاقة من نوع خاص. هذه العلاقة تتصف بكونها ذات " **تجادب وتباعد، فيبادل أحدهما الآخر التأثير احيانا، ويصارعه أحيانا اخرى...فالقومية العربية الحقيقية ليست في جوهرها سوى حركة روحية ترمي إلى بعث قوى الأمة الداخلية وتحقيق قابلياتها العقلية والنفسية، ولكي تقدم الأمة قسطها في تمدن العالم وحضارته، فلا بد للقومية إذا – وهي حركة روحية – من أن تلاقي الدين، وأن تستمد منه القوة والحياة والرفعة والسمو... وإذا عارضت القومية شيئا فليس هو الروحية الدينية. وإنما هو العصبية الهدامة..." [71]**، ويرى بذلك أن واجب كل عربي أيا كانت طائفته أن يحيي، ويمجد ذكرى محمد (ﷺ)، وأن يؤمن بأن مصلحته هي بالدفاع عن الإسلام، وكان موقفة هذا ينبع من تمسك المسيحيين الشوام بالقومية العربية، الذين وجدوا فيها منطلقاً سياسياً يحمي مجمل مصالحهم الفكرية والسياسية**[72]**.

ويحاول على ناصر الدين وهو أحد القادة المؤسسين لعصبة العمل القومي[73]، في كتابه هذا صياغة مبدأ قومي منتظم من خلال إسهامه في تعريف المصطلحات الآتية: يعرف العربي بأنه **"من كانت لغته اللغة العربية"**[74] ، ثم ينتقل إلى تحديد الأقطار العربية فيعددها قطراً قطراً في المشرق والمغرب، وأن هذه الأقطار لغتها اللغة العربية، وهي تؤلف وطناً واحداً هو الوطن العربي، وهذه الآراء توازي آراء الحصري.

أما تعريفه للأمة الواحدة التامة فهي عنده " **الجماعة من الناس التي تتوفر لها وحدة اللغة، والتاريخ، والأدب، والذكريات والتقاليد، والمنافع، والمطامح – وقالوا وحدة الأرض – والشعور المشترك بالمفارح والماسي،**"[75]، وهو لا يرى "وحدة السلالة" شرطاً لتكوين الأمة الواحدة، إلا أنه يستدرك في هامش الصفحة ذاتها؛ فيقول أن الأمة غير الدولة، وأن وحدة الأرض ليست شرطاً لوجود الأمة، بل هي شرط لوجود الدولة.

ويرجع إلى وحدة اللغة ليبين أن **"اللغة الفصحى، لغة الأدب، ويلاحظ اتصال تاريخ أهل البلدان العربية تاريخياً، الأمر الذي يحتم أن تكون ذكرياتهم واحدة، والأمة بنظرة فوق النسب والشعور والإرادة، مسألة عوامل لغوية واجتماعية وتاريخية وثقافية و اقتصادية خلال قرون كثيرة متعاقبة"**[76]، وهو هنا يرفض المشيئة أو الإرادة، ويعطي التاريخ دوره، والشبه واضح بآراء الحصري.

ويفرق بين العروبة والإسلام فيقول: **" إن العروبة شيء غير الدين وإنها خارجة عن نطاق المسيحية والإسلام"**[77]؛ فالدين في مفهوم علي ناصر الدين ليس من مقومات الأمة، وهو في ذلك يسير على خطا الحصري وزريق.

وأخيراً يؤكد علي ناصر الدين على أولوية الاتحاد؛ فيرى أن قضية العرب الكبرى هي قضية إنشاء دولة اتحادية كبرى، ويحاول توضيح الخطوط الكبرى للكيان العربي القومي، ويقول" **نعمل كي يتحد العرب ويتحرروا ويستقلوا؛ إذ لا يمكن أن يستعيدوا تراثهم إذا هم لم يتحدوا، ولم يتحرروا، ولم يستقلوا"**[78] ، وهكذا يتبين الشبه الواسع بين آراء علي ناصر الدين وآراء الحصري؛ فهو يرى أن القوميين العرب يريدون إنشاء كيان قومي عربي موحد؛ أي دولة عربية اتحادية كبرى تستند إلى القومية الخالصة.

أما عناصر القومية عند عبدالله العلايلي فقد قال عنها: إنها **"اللغة، والمصلحة، والمحيط الجغرافي (أو البيئة)، والسلالة والتاريخ، والعادات"**[79]، وقد ذهب العلايلي إلى أنه ليس "بالإمكان إقامة صرح قومي بعيداً عن الدين"، ويذهب العلايلي أيضاً إلى " **أن التماثل الاجتماعي لم يتحقق بعد بين هذه المجموعات العربية الكثيرة، وأن قيام الصحراء اللوبية يجعل منها مجموعتين كبيرتين المجموعة المغربية، والمجموعة المشرقية"[80]**، تاركاً العمل للزمن على إحداث التماثل، والوحدة بشكل طبيعي عفوي، على أن يظل العرب جاهدين في العمل من ناحية ثانية على رفع مستوى العرب الفكري الاجتماعي بشتى الوسائل[81].

ظهر اسم المفكر والمؤرخ محمد عزة دروزة من بين المؤمنين بالعروبة، والداعين لتحقيق الوحدة العربية؛ فيرى العرب كجنس واحد ينشد الوحدة السياسية والتاريخية منذ البدء ومن أقدم أزمنة التاريخ. ومن ثم فإن مطلب الوحدة القومية، من وجهة نظر دروزة، هو مطلب يتخطى التاريخ الواقعي، ويهيمن عليه. إنه بداية التاريخ العربي التي يتعين إكمالها بوحدة فعلية شاملة قوامها التوحيد السياسي، وهذه ضرورة تاريخية يفرضها الواقع العربي .

كما يعد دروزة أن الإسلام أسهم إلى جانب اللغة في تطوير الهوية العربية، وتكوين القومية العربية، ويرى أن توفر الوحدة الدينية أو الروحية في وطن ما يجعل قيام الوحدة بين أبنائه وأجزائه أيسر تحقيقاً، وأدعى إلى التوافق والترابط بين أجزاء الوطن الواحد[82] وما يلفت في كتابات دروزة هو إيمانه بمفاهيم العرق والجنس العربي والتأكيد على أهمية عامل السلالة والدم [83]، ومن ثم وخلافاً للمنظرين الذين أعطوا الأولوية للثقافة واللغة، فإنّ نظرة دروزة كانت نظرة أكثر جوهرانية تقوم على الاعتقاد بوجود جوهر مستقل للأمة العربية وعلى أساس عرقي[84].

يعد ميشيل عفلق هو أول مفكر قومي استطاع التعبير عن أفكاره من خلال مؤسسة حزبية لعبت، وماتزال الدور الرئيس في أكثر من قطر من أقطار المشرق العربي [85]؛ فعفلق لا يطرح فكره كمذهب متكامل؛ لأن هذا الفكر يصدر عن فكرة هي العروبة بما يعترضها من عقبات، ونكسات في معركتها ضد التجزئة – والاستعمار – والتخلف.

"نحن صدرنا من البدء عن فكرة وليست نظرية، إذ إنها مستمدة من صميم هذا الشعب العربي الممتد على هذه الرقعة" [86]، وهو يتخذ نظرة عاطفية للقومية؛ فـ **"القومية عنده هي حب قبل كل شيء... وهي نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته... فالحب اولاً، والتعريف يأتي بعده. وإذا كان الحب هو التربة التي تتغذى قوميتكم منها، فلا يبقى مجال للاختلاف على تعريفها وتحديدها فتكون روحية سمحة بمعنى أنها تفتح صدرها ونظلل بجناحيها كل الذين شاركوا العرب في تاريخهم وعاشوا جو لغتهم وثقافتهم أجيالاً فأصبحوا عرباً في الفكرة والعاطفة"**[87]، والقومية هي قدر محبب **" فالقومية وجود لا حاجة للتعرف بها ولا تطرح نفسها كقضية. وهو يخشى أن تسفر القومية عندنا إلى المعرفة الذهنية، والبحث**

الكلامي، فتفقد بذلك قوة العصب وحرارة العاطفة"[88]، وهذه كما تبدو نظرة مخالفة لنظرات الآخرين.

ويقول عفلق عن القومية العربية **" إن القومية العربية لدى البعث هي و اقع بديهي يفرض نفسه دون حاجة إلى نفاش أو نضال..." فهو لم يبحث في اسس القومية وبلورتها كما هو الحال لدى الحصري أو زريق أو ناصر الدين وغيرهم كما أراد الافتراق عن الفكر القومي التقليدي؛ فهو يرى " أن حركة البعث لم تكن استمراراً لما قبلها، بل كانت عبارة عن انقطاع أو بتر إرادي واع وارتفاعاً إلى مستوى جديد من التفكير، والأخلاق، والجو الروحي..."**[89]

وهو يذهب إلى "أن القومية العربية هي قومية وعربية، قومية لأن فيها الشروط الابتدائية لكل قومية، وعربية بمعنى أن فيها التطور الخاص بالأمة العربية عبر مختلف العناصر، والحضارات والأزمنة، وأن الصبغة العربية المشتركة التي وحدت بين هذه العناصر جميعاً هي التي استمرت دون انقطاع"، وحين يوضح ذلك الاستمرار يقول: **" وكانت اللغة العربية أبرز عنوان لهذا الاستمرار بما تتضمنه اللغة عادة من وحدة في التفكير، وفي المبادئ والمثل، وبهذا المعنى فقط يأخذ التاريخ قيمته في قوميتنا، تاريخنا بالدرجة الأولى، والتاريخ العام بالدرجة الثانية"**[90].

والوحدة العربي هي هدف المفكرين القوميين عامة، وينفرد عفلق بهذا التوجه؛ فهو يرى أنه **" لا يمكن تحقيق الوحدة العربية تحقيقاً جدياً ومتيناً وصامداً للزمن إلا إذا حدث انبعاث روحي في المجتمع العربي ... فالوحدة العربية هي نتيجة الانقلاب الروحي في المجتمع العربي، وهي أيضاً في الوقت نفسه سبب من أسباب هذا الانقلاب"**[91].

ويؤكد عفلق على أهمية القومية العربية التي قوامها الإيمان بالقيم الروحية التي لا يمكن أن تتعارض مع الدين؛ فيقول" **ولا خوف أن تصطدم القومية بالدين؛ فهي تنبع من معين القلب، وتصدر عن إرادة الله، وهما يسيران متآزرين متعانقين، خاصة إذا كان الدين يمثل عبقرية القومية، وينسجم مع طبيعتها... فملحمة الإسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعي الذي هو الأرض العرب...بل لا يمكن فهم الإسلام إلا من خلال العروبة؛ فالإسلام إذن كان حركة عربية، وكان معناه : تجدد العروبة وتكاملها"**[92].

والواضح هنا أن السمات الغالبة على كتابات القوميين في هذه الفترة النظرة العلمانية لحياة المجتمع العربي، ولكن هذه النظرة في الحقيقة لم تكن تعني الفصل بين الإسلام والقومية، وإنما النظرة للإسلام من منطلق أنه أحد العوامل التي تشكل الرؤية القومية والذي يتعلق ليس بجوهر القومية، وإنما بالمناخ السياسي والاجتماعي الذي تتم فيه، أو بمعنى آخر التميز القاطع بين التاريخ العربي، والتاريخ الإسلامي دون توجيه النقد للثاني .

فلما كان هؤلاء المفكرون يعتقدون بأن القومية عموماً لا تقوم على أساس ديني، فإنهم وتحت تأثير التمازج بين دعاة الفكرة الإسلامية ودعاة الفكرة العربية – الذي أعقب إلغاء الخلافة – لمواجهة الاستعمار الأوروبي وركيزته في الوطن العربي(العلمانية والإقليمية) اضطروا بدرجات متفاوتة. وحتى لا يخرجوا أمام الجماهير المؤمنة، وبسبب تكوينهم الاجتماعي والفكري كذلك إلى أن يؤكدوا بأن القومية العربية لا تتعارض مع الدين[93].

وبالرغم من إجماع هؤلاء المفكرين – كما هو الحال بالنسبة للحصري – على المطالبة الشديدة بالدولة العربية الواحدة، وعلى أهمية وجود الزعيم، أو القائد العربي القادر على تحقيق الوحدة وضرورة مؤازرته ودعمه أفراداً وهيئات، وقال بعضهم – بالقوة العسكرية لتحقيقها – وكان الحصري ودروزة قد تطلعا إلى مصر وعلقا آمالاً واسعة، وتمنى الحصري بالذات – خاصة بعد وفاة فيصل – أن تعمل مصر في سبيل تحقيق الوحدة العربية، مثلما عملت بروسيا في سبيل تحقيق الوحدة الألمانية.

أخيراً؛ تبقى إجابة أسئلة من نوع: ماذا بقي من القومية العربية؟ وأي مستقبل ممكن لها؟ معلقة بعد أن اختفت قواعد التيار القومي، وتحولت القومية العربية إلى خطاب تبرر به الأنظمة العربية المتهالكة تحالفها في مواجهة التغيير. وتبقى القومية مع ذلك إحدى الحلول المطروحة على كل حال، وعلى المستوى الأكاديمي والفكري، أو على مستوى النخب السياسية، لمشكلات الواقع العربي الراهن وما يمزقه من طائفية وصراع بين مختلف القوى.

عاشرا: الخاتمة :

بعد استعراض أفكار الحصري القومية، و تحليلها نستخلص أن هذه الأفكار تقدم نظرية عامة في القومية تجسد في الواقع فكر الحصري القومي. وإن هذه النظرية التي جعلت منه بحق طليعة المفكرين القوميين العرب، تقوم على دعامتين أساسيتين: اللغة بالدرجة الأولى التي تكون «روح الأمة و حياتها» والتاريخ بالدرجة الثانية الذي يكون « ذاكرة الأمة و شعورها"

لأن الوحدة في هذين الميدانين هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر، والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة...وبكل ذلك، تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى. ولكن لا الدين، ولا الدولة، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية .

لأن الهدف الأساس للقومية عند الحصري، هو الوحدة العربية؛ فهو يؤمن بها إيماناً عميقاً ويقول: "بوجوب العمل من أجلها عملاً متواصلاً لتحقيقها" وسعى إلى أن يغرس في الأذهان القيم اللازمة لتحقيق هذه الوحدة العربية، فالعروبة أولا كانت حقاً رسالته.

الهوامش:

[1] النابلسي، شاكر، الفكر العربي في القرن العشرين، ط1، دار الفارس للنشر – عمان، 2001ف، ج1،ص 23 .

[2] كان بعض الكتاب والأدباء من آل اليازجي وآل البستاني إضافة لعبدالرحمن الكواكبي (1849- 1903)، وفرح انطوان وشكيب أرسلان (1869-1946) وغيرهم من الأعضاء البارزين في أول جمعية سرية قومية – جمعية بيروت السرية – تشكلت في عام 1875؛ حيث ظهرت كأول حركة قومية عربية منظمة شكلها سراً المثقفون الذين كانوا طلبة في الكلية السورية البروتستنتية في بيروت (الجامعة الأمريكية)، ثم أقاموا لها عدة فروع، وظلت هدة الحركة لمدة ثلاث سنوات إلى أن جاء السلطان عبدالحميد وقضى عليها. وكانت مبادئ وأهداف هذه الحركة هي: تحقيق استقلال سوريا ولبنان، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية، وإلغاء الرقابة على الصحافة. وبذلك تكون هذه الجمعية أول جمعية في التاريخ العربي سعت بشكل علمي ومنظم إلى الدعوة للقومية. للمزيد راجع: النابلسي، شاكر، المرجع السابق، ص33، 34 .

[3] هو مؤتمر أقامه مجموعة من المفكرين، والسياسيين، والقوميين العرب في باريس في حزيران (يونيو) 1913.وقد انتهى هذا المؤتمر بمجموعة من

القرارات التي طالبت بالإصلاح، وبالحكم الذاتي داخل الدولة العثمانية، والاحتفاظ بوحدة الدولة بشرط الاعتراف بحقوق العرب من حيث هم شركاء في الدولة، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية، وطالبوا كذلك ألا يطلب من المجندين العرب في الجيش العثماني أن يخدموا خارج أقاليمهم إلا في وقت الحرب. للمزيد حول هذ الموضوع راجع: انطونيوس، جورج ، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، ط5، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر– بيروت 1978،ص 191- 195.

[4] النابلسي، شاكر ، المرجع السابق، ص 23.

[5] ولد ساطع في صنعاء عام 1880، إذ كان والده .وهو من أصل سوري . يعمل قاضياً في الدولة العثمانية، وكان عمله في صنعاء حين ولادة ساطع. تنقل ساطع مع أبيه في أرجاء الدولة العثمانية ، ثم التحق بالمدرسة الملكية الشاهانية في اسطنبول وتخرج منها عام 1900، وعين معلماً لمدة خمس سنوات في إحدى مناطق اليونان ،ثم انتقل إلى الإدارة فعين قائم مقاماً في بعض مناطق البلقان ، وبعد إعلان الدستور عام 1908عين مدرساً في المدرسة الشاهانية ودار الفنون في اسطنبول ، ثم أسندت إليه إدارة دار المعلمين في اسطنبول. بعد انفصال الدول العربية عن تركيا انتقل إلى سورية عام 1919 وعين مفتشاً للمعارف، ثم مديراً لها فوزيراً للمعارف 1920 وعند الاحتلال الفرنسي لسورية غادر سورية مع الملك فيصل الذي استدعاه إلى العراق بعد تنصيبه ملكاً على العراق، وأمضى ساطع في العراق عشرين سنة تنقل فيها بين المناصب التعليمية، والتدريس في دار المعلمين وكلية الحقوق، وإدارة مديرية الآثار العامة. في عام 1941. وبعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني ،جُردِ المؤلف من جنسيته وأمر بمغادرة العراق، فتوجه إلى لبنان حيث أمضى فيها ثلاث سنوات، ثم استدعته الحكومة السورية وعين مستشاراً فنياً للمعارف، ثم انتقل إلى مصر لإلقاء محاضرات في جامعة القاهرة، وفي عام 1948 عين مستشاراً فنياً للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. وفي عام 1953 أصبح عميداً لمعهد الدراسات العربية العالية الذي أنشأته جامعة الدول العربية، و أعيدت إليه جنسيته العراقية عام 1953، وعين أستاذاً في جامعة بغداد عام 1965. له الكثير من المؤلفات منها: "آراء وأحاديث في اللغة والأدب"، و"آراء في القومية العربية" و"العروبة أولا" و"العروبة بين دعاتها ومعارضيها" و"دراسات عن مقدمة ابن خلدون" و"يوم ميسلون" و"حولية الثقافة العربية" و" آراء وأحاديث في الوطنية القومية" توفي في بغداد عام 1968. حول حياة الحصري، راجع: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط6، دار العلم للملايين -بيروت 1986،ص70؛ قاسمية، خيرية، "حياة ساطع الحصري دروس وعبر"، في، ساطع الحصري ثلاثون عاماً على الرحيل، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ط1، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت،1999، ص23-104؛ و اليساوي، شاكر، دعاة الفكر القومي العربي دراسة نقدية، دار المنارة – بيروت، 2002، ص 9-38؛ و الدبيان، خالد ابراهيم، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين،ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع – الرياض 2004،ص441-463؛ سحاب، إلياس، ساطع الحصري المفكر والداعية والنموذج، بيروت، مجلة المستقبل العربي، العدد الأول م1، 1978، ص 76،77؛ كليفلاند، ل، ساطع الحصري من الفكرة العثمانية إلى العروبة، ت: سحاب، فيكتور، ط1،بيروت،دار الوحدة 1983، ص52- 67 .

[6] العمايرة، محمد ناجي، فلسفة القومية العربية في فكر ساطع الحصري ،ط1، دار الشروق–عمان ،1996، ص15؛ التل، سهير سلطي، حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية،ط1 مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ، 1996،ص56 .

[7] الدوري، عبد العزيز، " ساطع الحصري في الفكر القومي"، في ساطع الحصري ثلاثون عاماً على الرحيل، المصدر السابق ص311، التل، سهير سلطي، المرجع السابق، ص55.

[8] Alaud.D, Bouvet.L , sous dir. Dictionnaire de sciences politiques et sociales, Paris, Dalloz,2004, p .223

[9] المصدر نفسه، ص 224 .

[10] الدوري، عبد العزيز، المصدر السابق، ص311. سحاب الياس، ساطع الحصري: المفكر والداعية والنموذج، مجلة المستقبل العربي، مج5، العدد الأول، 1978، ص 78- 80 .

[11] الدوري، عبد العزيز، المصدر سابق، ص 311؛ الحصري ساطع، "آراء وأحاديث في الوطنية والقومية"، في، الاعمال القومية لساطع الحصري، سلسلة التراث القومي،ط2، مركز دراسات الوحدة العربية – القاهرة، القسم الاول، 1990،ص 7-8. (نشر لأول مرة عام 1944).

[12] الحصري ساطع، المصدر السابق ، ص9 ،10 .

[13] المصدر نفسه ص10- 11 .

[14] أحمد، أحمد يوسف، ساطع الحصري والوحدة العربية، في "ساطع الحصري ثلاثون عاما على الرحيل"، المصدر السابق ص189 .

[15] الحصري ساطع، المصدر نفسه ، ص12.

[16] المصدر نفسه، ص17- 22 .

[17] المصدر نفسه، ص22 ،23.

[18] ياسين، السيد وآخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي (دراسة استطلاعية)،ط3، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 1985، ص75؛ ابراهيم، جماعة ضو، الدين والقومية في الفكر القومي العربي ما بين الحربين (مقاربة تاريخية)، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) مج 6 - العدد الأول، 2007 ف، ص92، 93.

[19] الحصري ساطع ، المصدر السابق، ص23- 27 .

[20] المصدر نفسه، ص28.

[21] ياسين، السيد وآخرون، مرجع سابق، ص 85،86. الحصري الذي وضع أول نظرية علمانية متكاملة في القومية العربية قد ارتكز إلى التقاليد العلمانية التي أرسيت في الربع الأخير من القرن 19 في عدد من البلدان العربية... و يصعب نفي تأثر الحصري في العقود الأولى من نشاطه بالنزعة العلمانية التي انتشرت في تركيا. ولقد طور الحصري تركة أسلافه، وتفاعل مع معاصريه، فأمكنه الإسهام بقسط كبير في صيرورة الاتحاد العلماني في الفكر القومي. راجع: تيخونوفا، تاتيانا ، ساطع الحصري: رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي، ت: سلوم توفيق، ، دار التقدم – موسكو 1987ف، ص 15 .

[22] حوراني، البرت ، الفكر العربي في عصر النهضة (1798- 1939)، ت: كريم عزقول،2002، دار نوفل للنشر - بيروت ص319 ،320 .

[23] عبدالرحمن الكواكبي (1854- 1902) لا يرى في سلاطين آل عثمان القدوة الحسنة للمسلمين، لأنهم – في نظره – وضعوا مصلحتهم فوق مصلحة الإسلام والمسلمين، وهو يذكر عليهم تلقبهم بألقاب الخلافة، فدعا إلى تحرير المسلمين من دولة الترك التي لم توفق لنفع الإسلام بشيء في عز شبابها، بل أضرته بمحو الخلافة العباسية المجمع عليها، وتخريب ما بناه العرب، وفضلاً عن ذلك فقد فرطوا بوحدة الإمبراطورية، وعاملوا العرب معاملة ظالمة جهنمية، لذلك فقد رفض الكواكبي فكرة الخلافة العثمانية، ونادى بإعادتها إلى العرب، ولعل اختياره (أم القرى) وهي "مكة المكرمة" كعنوان لكتابة الذي صور فيه انعقاد مؤتمر إسلامي لنهضة المسلمين بها، خير دليل على ذلك، بل إن إيمان الكواكبي بما يمكن أن تسميه (النزعة السلفية المستنيرة) في التفكير الديني، ونزوعه إلى العودة إلى المنابع الأولى للإسلام، وتخليصه من الشوائب والزوائد والإضافات التي أسهم فيها الأتراك العثمانيون بأوفر نصيب، وإحساسه بأن ذلك سيقدم للناس ديناً ملائماً لبساطة البيئة التي نشأ فيها الإسلام في شبة الجزيرة العربية. للمزيد راجع: عبدالرحمن الكواكبي، أم القرى، حلب، 1959م،ص146.نقلا عن: إبراهيم جماعة ضو ، الفكر القومي العربي عند الكواكبي، مجلة جامعة سبها(العلوم الإنسانية) المجلد الثالث - العدد الثاني (2004 ف) ،ص105، 106.

[24] جمال الدين الأفغاني(1838 – 1897) صاحب فكرة الجامعة الإسلامية، كاتب وخطيب ومصلح ديني واجتماعي وسياسي، أقام جمال الدين دعوته على دعائم مستمدة من فكرته عن الجامعة الإسلامية، وبذل قصارى جهده للحيلولة دون ظهور أي تناقض بين الفكرة القومية، وروح الإسلام وقوة دولته؛ بل إنه جعل من الدولة القومية الحرة المستقلة أساساً لقيام الجامعة الإسلامية، أو دولة الخلافة الإسلامية كما أرادها. ومن آثاره المكتوبة صحيفة "العروة الوثقى" التي كان يصدرها مع تلميذه وصديقه الإمام محمد عبده، ومقالاته في مجلة "ضياء الخافقين" التي اشترك في تحريرها وكانت تصدر بالعربية والإنجليزية، وكتابه "تنمية البيان" وهو مختصر في تاريخ الأفغان. للمزيد راجع: غربال، محمد شفيق وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب – مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة،ص180.

[25] الحصري، ساطع، المصدر السابق، ص18 .

[26] المصدر نفسة، ص20 .

[27] المصدر نفسه ، ص 29 .

[28] الدوري، عبد العزيز،" ساطع الحصري في الفكر القومي" المصدر سابق، ص313 .

[29] الحصري، ساطع ، المصدر السابق، ص 29 .

[30] المصدر نفسة، ص29 .

[31] الدوري، عبد العزي، المصدر السابق،ص314 .

[32] خدوري، مجيد، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، ط1 دار المتحدة للنشر – بيروت، 1972، ص208 .

[33] الحصري، ساطع، المصدر السابق، ص30. ان الحصري كان واضحا شديد الوضوح في أن الدين ليس عنصراً من عناصر القومية، وأنه لا يقبل رابطة سياسية إسلامية ولن تكون. تضامن نعم، أخوة نعم، ولكن الوحدة السياسية هي للعروبة، فهذا هو موقفة سواء قبلناه أم رفضناه، إلا أنه كان واضحاً تماماً (الباحثة).

[34] مرقص، إلياس، نقد الفكر الديني، ط1، دار الطليعة – بيروت، ص57 .

[35] الحصري، ساطع، المصدر السابق، ص31.

[36] مرقص، الياس، المرجع السابق، ص 57.

[37] الحصري، ساطع، المصدر السابق، ص33- 57.

[38] المصدر نفسة، ص36-39 .

[39] المصدر نفسة، ص43، 44 .

[40] المصدر نفسة، ص45، 46.

[41] المصدر نفسة،ص46-55.

[42] المصدر نفسة،ص55 .

[43] المصدر نفسة، ص59.

[44] المصدر نفسة ، ص60، 61 .

[45] المصدر نفسة ، ص61.

[46] المصدر نفسة ، ص62، 63 .

[47] فليس الإسلام لنظرية القومية العربية إلا عنصراً تاريخياً له أهمية كبرى في تاريخ العرب، ولكنه ليس حاوياً للعروبة، بل عليه الأولوية الإيديولوجية؛ فالتعرب والإسلام متميزان تاريخياً عند الحصري ولو ساعد الثاني الأول، وليس ثقافة تجمع المسلمين بل هناك إسلامات تعمل بينها عوامل الانقسام التي تتغلب على عوامل الوحدة. راجع، تيخونوفا، تاتيانا، المرجع السابق، ص 51-56.

[48] الحصري، ساطع ، المصدر السابق، ص64.

[49] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[50] المصدر نفسه، ص65. لقد كرس الحصري جهده في سبيل إثبات أن جميع الناطقين بالعربية هم عرب، و أن الوحدة العربية هدف القومية العربية التي ترمي إلى لم شمل العرب جميعاً في إطار دولة عربية واحدة، و تعد نظريته القومية ذات شان في الفكر القومي العربي. (الباحثة) .

[51] طه حسين (1889- 1973) مفكر وأديب ومؤرخ وناقد وأكاديمي علماني ليبرالي مصري معاصر. يعد أبا للحداثة العربية المعاصرة، وعميداً للأدب والثقافة العربية. له مجموعة كبيرة من الكتب أبرزها: الأيام ، مع المتنبي، في ذكرى أبي العلاء، في الشعر الجاهلي، مرآة الإسلام، مستقبل الثقافة في مصر وغيرها. راجع: هواري، محمد، أعلام الأدب العربي المعاصر "ترجمة حقيقية لـ 50 شخصية أدبية"، دار الكتب العلمية – بيروت،2017، ص 151-158 .

[52] الحصري ساطع ، المصدر السابق،ص75.

[53] المصدر نفسة ، ص76.

[54] المصدر نفسة ، ص76.

[55] المصدر نفسة ، ص77.

[56] المصدر نفسة ، والصفحة نفسها.

[57] المصدر نفسة ، ص78.

[58] المصدر نفسة ، والصفحة نفسها .

[59] المصدر نفسة ، والصفحة نفسها.

[60] المصدر نفسة ، ص79- 80.

[61] المصدر نفسة ، ص81.

[62] المصدر نفسة ، والصفحة نفسها .

[63] المصدر نفسة ، والصفحة نفسها.

[64] المصدر نفسة ، والصفحة نفسها.

[65] ياسين، السيد واخرون ، المرجع السابق،ص99 .

[66] علوش، ناجي، "الحركة العربية بعد الحرب العالمية الأولى" مجلة دراسات عربية، دار الطليعة – بيروت ،العام الثانية، العدد2 كانون الاول (ديسمبر) 1965ف،ص60.

[67] زريق، قسطنطين ، الوعي القومي: نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي، ط2، دار المكشوف – بيروت، د.ت ص37.

[68] المصدر نفسه، ص 37.

[69] المصدر نفسه، ص22- 29 .

[70] المصدر نفسه ، ص127-128 .

[71] إبراهيم، جماعة ضو ، المرجع السابق، ص 91.

[72] يعود تاريخ نشوئها إلى انعقاد مؤتمر قرنايل (لبنان) في 24آب (اغسطس)1923 الذي ضم بعض رجال الحركة العربية في لبنان وسوريا، وفلسطين، والعراق، وشكلوا هناك عصبة العمل القومي، وكانت تعادي الشيوعية، وتنادي بالوحدة العربية، فالعصبة كانت ظاهرة فريدة من نوعها في ذلك الحين؛ لأنها كانت الحركة العربية الوحيدة التي مارست نوعاً من التنظيم، وقامت بعمل منظم على مستوى عربي – ولو جزئياً – خلال فترة الاحتلال الفرنسي والانجليزي. للمزيد راجع: علوش، ناجي ، الحركة القومية العربية" نشوؤها، تطورها، تجاهاتها" دار الطليعة - بيروت،1966ف، ص73 .

[73] الدين، على ناصر ، قضية العرب، دار العلم للملايين – بيروت، 1946،ص15.

[74] المصدر نفسه ، ص20.

[75] المصدر نفسه ، ص 23،21 ،47.

[76] المصدر نفسه ، ص105 .

[77] المصدر نفسه ، ص97 .

[78] العلايلي، عبدالله ، دستور العرب القومي، ط2 مكتبة العرفان د.ت،ص88-95.نقلا عن علوش، ناجي ، المرجع السابق،ص68 .

[79] المصدر نفسه، ص 116 ،117- 137 .

[80] علوش، ناجي، المرجع السابق،ص68.

[81] دروزة، محمد عزة، الوحدة العربية: ومقومات وحدته والعقبات التي تقف في طريقها ومعالجتها والمراحل التي يجب أن يسار فيها إلى تحقيقها، القاهرة، د.ت، ص 58- 60.

[82] المصدر نفسه، ص556.

[83] أن هذه النظرة قد تكون نتيجة لتأثير حضور المشروع الصهيوني في فلسطين؛ أي إنه سعى لتأسيس جوهرانية عربية مضادة للجوهرانية اليهودية. للمزيد راجع: عواد، هاني، تحولات مفهوم القومية العربية، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر – بيروت،2013، ص39.

[84]- إشارة إلى حزب البعث العربي الذي اسسه ميشيل عفلق وصلاح البيطار خلال دراستهما في فرنسا في الفترة بين 1939و 1934، انظم إليهما عام 1939 زكي الارسوزي، حدد المؤتمر الأول للحزب إطاره السياسي، وكان شعاره "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" وضم هذا الحزب ايضاً نخبه من السوريين الذين عملوا في مجال الفكر والتدريس الجامعي بين عامي 1945 و 1947 متأثرين بثورة ايار(مايو) 1941 التي قادها رئيس الوزراء العراقي الأسبق رشيد عالي الكيلاني باشا ضد الإنجليز، والحكومة العراقية الموالية لهم كأول ثورة ذات شعارات عربية ووحدوية في الوطن العربي. وظهر البعث بمثابه الحركة العربية الأكثر علمانية والأكثر وحدوية، وهو الحزب الحاكم في الجمهورية العربية السورية والحزب الحاكم السابق في العراق قبل غزو العراق 2003. للمزيد راجع : القوزي، محمد علي ، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، ط1، دار النهضة العربية – بيروت، 1999،ص49 .

[85] عفلق، ميشيل ، في سبيل البعث، ط21، دار الطّليعة - بيروت 1980، ص 172 .

[86] المصدر نفسه ،ص111، 114 .

[87] المصدر نفسه، ص114 -112.

[88] المصدر نفسه ، ص279.

[89] المصدر نفسه ، ص132- 140.

[90] المصدر نفسه ، ص144.

[91] المصدر نفسه، ص112، إضافة إلى ذلك، شدد مفكرو القومية العربية على دور الإسلام في صياغة الفرد العربي والأمة العربية، وفي هذا يقول عفلق: "في وقت مضى تلخصت في رجل واحد حياة أمته كلها، واليوم يجب أن تصبح كل حياة هذه الأمة في نهضتها الجديدة تفصيلاً لحياة رجلها العظيم. كان محمد كل العرب فليكن كل العرب اليوم محمدا". للمزيد راجع: عفلق، ميشيل المصدر السابق، ص 142 .

[92] جماعة ضو ابراهيم، المرجع السابق،ص94،95. ربما كان السبب في معارضة بعض رجال الدين هو الميول الاشتراكية لبعض مفكري القومية العربية، وبعض الأحزاب القومية مثل البعث. وفي هذا المقام لا بد من الإشارة إلى أن كثير من المفكرين القوميين هم إما علماء دين مثل عبد الرحمن الكواكبي، أو ذوو اتجاه ديني مثل محمد عزة دروزة.(الباحثة).

[93] الحصري، ساطع، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، دار العلم للملايين – بيروت، 1952، ص34؛ محمد عزة دروزة المصدر السابق، ص599، 601.

المصادروالمراجع :

اولا : الكتب

[1] أحمد، أحمد يوسف وآخرون، ساطع الحصري والوحدة العربية، في، ساطع الحصري ثلاثون عاماً على الرحيل، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ومعهد البحوث والدراسات العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ،1999.

[2] انطونيوس، جورج، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، ط5، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر– بيروت ، 1978 .

[3] حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة (1798- 1939)، ت: كريم عزقول،2002، دار نوفل للنشر – بيروت.

[4] التل ، سهير سلطي ، حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية،ط1 مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت ، 1996.

[5] تيخونوفا ، تاتيانا ، ساطع الحصري: رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي، ت: سلوم توفيق، ، دار التقدم – موسكو 1987.

[6] الحصري، ساطع، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، في الاعمال القومية لساطع الحصري، سلسلة التراث القومي، ط2 مركز دراسات الوحدة العربية – القاهرة، القسم الاول، 1990 .

[7] الحصري، ساطع، العروبة بين دعاتها ومعارضيها، دار العلم للملايين- بيروت، 1952.

[8] الدبيان ،خالد ابراهيم ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين، ط1، دار المسلم للنشر والتوزيع – الرياض 2004.

[9] دروزة، محمد عزة، الوحدة العربية: ومقومات وحدته والعقبات التي تقف في طريقها، ومعالجتها والمراحل التي يجب أن يسار فيها إلى تحقيقها، القاهرة، د.ت .

[10] الدين، على ناصر، قضية العرب، دار العلم للملايين – بيروت، 1946.

[11] خدوري ، مجيد ، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، ط1 دار المتحدة للنشر – بيروت، 1972 .

[12]زريق ، قسطنطين ، الوعي القومي: نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الشرق العربي،ط2، دار المكشوف – بيروت، د.ت.

[13] عفلق، ميشال، في سبيل البعث ،ط21، دار الطّليعة - بيروت 1980 .

[14] علوش ، ناجي ، الحركة القومية العربية" نشوؤها، تطورها تجاهاتها"، دار الطليعة - بيروت، 1966ف.

[15] عواد، هاني، تحولات مفهوم القومية العربية، ط1،الشبكة العربية للأبحاث والنشر– بيروت، 2013.

[16] العلايلي، عبدالله، دستور العرب القومي، ط2 مكتبة العرفان د.ت.

[17] العمايرة ، محمد ناجي ، فلسفة القومية العربية في فكر ساطع الحصري ،ط1، دار الشروق–عمان ،1996.

[18] القوزي، محمد علي، دراسات في تاريخ العرب المعاصر،ط1، دار النهضة العربية – بيروت، 1999.

[19] كليفلاند، ل.، ساطع الحصري من الفكرة العثمانية إلى العروبة، ترجمة فيكتور سحاب، ط1، بيروت، دار الوحدة،1983.

[20] مرقص ، الياس ، نقد الفكر الديني، ط1، دار الطليعة – بيروت .

[21] النابلسي، شاكر، الفكر العربي في القرن العشرين، ط1، دار الفارس للنشر– عمان، 2001، ج1 .

[22] هواري، محمد، أعلام الأدب العربي المعاصر "ترجمة حقيقية لـ 50 شخصية ادبية"، دار الكتب العلمية – بيروت،2017.

[23] العيساوي، شاكر، دعاة الفكر القومي العربي "دراسة نقدية، دار المنارة- بيروت،2002.

[24] ياسين، السيد وآخرون، تحليل مضمون الفكر القومي العربي ،ط3، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، 1985.

ثانيا الدوريات :

[1] إبراهيم ، جماعة ضو ، الفكر القومي العربي عند الكواكبي مجلة جامعة سبها(العلوم الإنسانية) المجلد الثالث - العدد الثاني (2004 ف.

[2] ابراهيم ، جماعة ضو ، الدين والقومية في الفكر القومي العربي ما بين الحربين (مقاربة تاريخية)، مجلة جامعة سبها (العلوم الإنسانية) مج 6 - العدد الأول، 2007.

[3] الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط6، دار العلم للملايين- بيروت ، 1986.

[4] سحاب، إلياس ، ساطع الحصري المفكر والداعية والنموذج بيروت، مجلة المستقبل العربي، العدد الأول، م1، 1978.

[5] سحاب، الياس، ساطع الحصري" المفكر والداعية والنموذج" مجلة المستقبل العربي، مج5، العدد الأول، 1978 .

[6] علوش، ناجي، "الحركة العربية بعد الحرب العالمية الأولى" مجلة دراسات عربية، دار الطليعة – بيروت ،العام الثانية، العدد2 كانون الاول (ديسمبر)1965ف.

[7] غربال ، محمد شفيق وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب – مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة.

الكتب الاجنبية :

[1] Alaud.D, Bouvet.L , sous dir. Dictionnaire de sciences politiques et sociales, Paris, Dalloz,2004